

سيرة سعيد عقل وأبرز منجزاته

١٩١٢-٢٠١٤



هو الشاهد على قرن بأكمله، ويشكّل ظاهرة فريدة في عصره. وما إن يلفظ أحدٌ اسمه حتّى تنتهي إلينا صورة الشاعر "المنفوش الشعر"، "الجهوريّ الصوت"، و"المتباهي بعقريّته وعبقريّة لبنانه".

وُلد سعيد عقل في مدينة زحلة في ٤ تمّوز عام ١٩١٢ (في بطاقة هويّته ١٩٠٨، وفي سجلّ المعموديّة ١٩١٠).^١ والده شبيل عقل من زحلة (أب عصبيّ قليل الثقافة، وأحد أعيان زحلة، وكبار ملاّكها). وأمه أديل يزبك من بكفّيا (أمّ نبيلةً ومثقفةً). له شقيقٌ بكّر هو عقل، هاجر إلى أميركا عام ١٩٢٧، وشقيقتان هما هيفاء وإيميلي، وسعيد هو آخر العنقود.

طفولة الشاعر...

تأثّر سعيد عقل بوالديه، فطبع في وجدانه هذه الصورة عن والده: "أبي كان مُطلقيّاً. عنه وعيْتُ على فكرة المطلق. كان عنيداً في الاستقامة، وعنه أخذت استقامتي... أقدمُ ما أذكر عنه: قراره توزيع الإعاشة على المعوزين في أيام الحرب العالميّة الأولى، حين نزع معظم سكّان الجبل إلى زحلة، لكونها مدينة خيرة، ولم تتأثّر كثيراً بالحرب. ولأنّ أبي كان ميسوراً، قرّر أنّ عليه الإسهام في الإعانة. كلّ يوم سبت كان الخدم، في بيتنا، يوزعون خبزاً وطعاماً على من يتجمّع في ساحة البيت. ثمّ راح يطلب منا نحن أن نشترك مع الخدم في التوزيع كي نشعر أكثر بعاطفة العطاء. كان أبي مجنوناً سخاء، وبلغ كرمه حدّ التبذير"، كما وصفه في إحدى خماسيّاته:

علّمني أن أراهنّ

أبي... أقول الجفون

صحبتهنّ مساكنّ

أحبّ عقلي... لكنّ

لا خيالياً من جنون^٢.

أمّا أمّه فاقتبس من حكمتها الأسس التي ترقى بالإنسان، وتحمله على الإبداع والابتكار، وكان له في أمّه مثال أسمى :

^١ النبذة البيوغرافية عن سعيد عقل في معظم الكتب والدراسات والمراجع تشير إلى أنّه وُلد في ٤ تمّوز عام ١٩١٢، أمّا بطاقة هويّته فمُسجّل عليها أنّه وُلد عام ١٩٠٨، وفي سجلّ العماد في كنيسة مار يوسف للرهبانيّة الأنطونيّة المارونيّة - زحلة ذُكر أنّه اقتبل سرّ العماد في ١٠ آب عام ١٩١٠ ولأنّه من المستبعد أن يبقى الطفل عامين بدون معموديّة، فمن المرجّح أن يكون مولده في ٤ تمّوز عام ١٩١٠. وفي كتاب هنري زغيب **سعيد عقل إن حكى** يورد المؤلف على لسان سعيد عقل نفسه أنّه "كبّر" عمره لاحقاً ليحصل على رخصة بإصدار جريدة في زحلة لم يكن يمكنه الحصول عليها في سن مبكرة.

^٢ زغيب، هنري، **سعيد عقل إن حكى**، طبعة ثانية، سدّ البوشرية، درغام، ٢٠١٢، ص ٢٠.

"أخذت عن أمي الجمال، وحسن الجمال. وأخذت عنها حبّ الثقافة. فهي خريجة مدرسة فرنسيّة، وكانت تتقن ثلاثاً: العربيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة ... وعنها أنا أخذت روح الشّمم والأنفة، ونبذ كل ما ليس جميلاً وأنيقاً. لم تكن أبداً تحتل البشاعة وأخبارها وروايتها. وكانت على نُضحٍ كثير. ومّا جاء في خماسيّات الصبا:
شاكسْتُ أمي، وطفلاً كنتُ، بعدُ، نكِدُ
قطُفْتُ عن شعرها، لي، بعض أزهارٍ
قالت: "ألا رُدّها... والعَب ياسواري"
ما همّي ذهبٌ في المعصمين غرِدُ
قطُفْتُ عن شَعْرِ أمي كلَّ أشعاري"^١.

وعن مرحلة الطفولة يقول سعيد عقل: "عشت مع الوالدة طفولة ولا أجمل. وحين انتسبت إلى مدرسة الأخوة المريميين كنت اكتسبت حُسنَ السلوك، والاطلاع الواسع على الأمور. وتأثرت كثيراً بما زوّدتني إيّاه من أسس ومبادئ تتعلّق باللاهوت، ورحت أطوّر هذه المبادئ بالتعمق في الأبحاث والدراسات. ظلّت تدلّنا حتّى أيّامها الأخيرة، فدلّثها بدوري وكأتمّها شخص مثاليّ موجود في الكتب لا في الواقع"^٢.

وفي مقابلة تلفزيونيّة قال عقل: "الكتاب المقدّس إلو تأثير عليّ كثير... وإذا راح البيت كلو ما بزعل بس بزعل على الكتاب المقدّس أكثر من البيت"، وأضاف: "قوية حالي باللاهوت، علم الله شي خطير، وقوية حالي بالعلوم"^٣.

أمضى سعيد عقل ثلاث سنوات من طفولته الأولى في مدرسة خاصّة لـ "المعلّمة صوفيا"، التي فتحت مدرسة صغيرة لأثرياء زحلة، وكان والده يساعدها مادياً إلى أن انتسب إلى مدرسة "الفرير ماريست"، للإخوة المريميين الفرنسيين عام ١٩١٧، نصف داخليّ. كان متمرساً في الرياضيات، ولم يكن قوياً في اللغات والأدب. فأضمر التخصص في الهندسة، لكنّه لم يُتِمّ إلاّ الصفّ الثاني تكميليّ عربيّ، والثالث تكميليّ فرنسيّ لينصرف إلى العمل لمساندة العائلة بسبب الكارثة الماليّة التي أصابت والده عام ١٩٢٧، وأرغمته على بيع أراضيه حتّى يسدّد ديونه التي تراكمت عليه.

أمام هذه الواقعة، لم يتمكّن من إكمال إختصاصه مهندساً في بيروت، فباشر عمله في الخامسة عشرة من عمره في بعض مدارس زحلة لتدريس الفرنسيّة، ومن ثمّ بدأ العمل الكتابيّ بالعربيّة.

^١ زغيب، هنري، سعيد عقل إن حكى، مرجع سابق، ص ٢١.

^٢ دُكر في كتاب هنري زغيب أنّ سعيد عقل سأل والدته: "الله؟ من هو الله"، فأجابته: "هو الذي عندما نركع جميعاً كل مساء ونصلّي، نصليّ له؟ إنّه الذي خلقنا من العدم. كنا غير موجودين في مكان ولا زمان، فخلقنا في مكان وزمان. ومن عظمة ما هو رحيم، أنّه سيقينا معه إلى الأبد". ومن يومها بدأت تنمو عنده فكرة العدم والبقاء بعد الموت، ص ٢٦.

^٣ دراقيلي، كارول، "أمّ سعيد عقل"، صحيفة نهار الشباب، بيروت، العدد ٤٧، الثلاثاء ٢٢ آذار ١٩٩٤، ص ٢.

^٤ حلقة تلفزيونيّة من برنامج "السجل الذهبي"، مقابلة مع الراحل سعيد عقل، تلفزيون لبنان، من إعداد وتقديم جاندارك أبو زيد فياض.

بداية التأليف...

أولى خطواته التي شكّلت بداية المرحلة التأليفية كانت في جريدة " الوادي " الزحليّة لصاحبها ندرّة أُلوف. وسرعان ما تطوّر العمل من التحرير في الجريدة، إلى تحرير الجريدة كلّها.

وبالمصادفة، تعرّف على ضابط فرنسيّ بعد ترك المدرسة، يقيم في زحلة، ويملك مكتبة غنيّة جدًّا، فيها كل ما يلزم ليدخل إلى عالم الأدب. فاستمرّ يزور مكتبته مدّة ثلاث سنوات متتالية، فقرأ على التوالي الأدب الصينيّ، والسنسكريتيّ (الهنديّ القديم)، والزنديّ (الفارسيّ القديم)، الفارسيّ، الفينيقيّ، العبرانيّ، المصريّ القديم، الأوروبيّ، اليونانيّ، الإيطاليّ والعربيّ.

وبعد المتابعة اليومية، قرّر النزول إلى بيروت عام ١٩٣٢^١، وأقام في شارع عبد الوهّاب الإنكليزيّ. وكانت إقامة سعيد عقل في بيروت بداية لمرحلة جديدة، فغيّر خارطة الشعر فيها وغيّر مفهوم الشعر العربيّ.

عام ١٩٣٥ اشترك سعيد بمباراة "جائزة ٥٠ ليرة لأفضل رواية تمثيلية"، لمؤسسة "الجامعة العربية"، لتنال رواية " بنت يفتاح"^٢، مجتزأة (لم تكن الرواية كاملة يومها) ، ٤٠/٤٠ من شارل قرم، و ٤٠/٣٥ من صلاح لبكي ، وبعد أسبوع قرأتها اللجنة كاملة فقررت رفع قيمة الجائزة إلى ١٠٠ ليرة .

بعد نشر " بنت يفتاح"، عام ١٩٣٥، طارت شهرة سعيد عقل في بيروت، وبدأت تبلّغه دعوات في صالونات بيروت الأدبية، وبدأت المدارس، والجامعات، تعرض عليه التدريس فيها. كما أخذت الجمعيات والمؤسسات الثقافية والأدبية تدعوه لإلقاء محاضرات لديها، ففرض بدلاً ماليًّا الأمر الذي لم يكن مألوفًا في أوساط بيروت الأدبية. كما نال في العام نفسه جائزة الجامعة الأدبية للرواية.

وفي هذا السياق يقول عقل: " نزلت على بيروت ودغري سمعتي ضحت، وطلعت على المنبر، ساعتها ما عدت نزلت على المنبر، كنت قول شعر كثير، وفي كتب من كتبي كنت حافظًا، وكنت أوعظ بالكنايس"^٣.

وتجدر الإشارة إلى أنّ عقل تمرد عام ١٩٣٥ مع أهالي بلده ضدّ ظلم حكومة الإنتداب الفرنسيّ، وألقى خلال تجمع شعبيّ خطابًا يدعو فيه المواطنين إلى الكفاح من أجل الإستقلال ما أدى إلى إعتقاله بضعة أيّام بناءً على أمرٍ من السلطات الفرنسيّة.

^١ ذكرت هند أديب في كتابها شعريّة سعيد عقل ، أنّ سعيد عقل نزل إلى بيروت عام ١٩٣٠، ليعمل صحافيًّا في مجلّة كان يديرها الشاعر اللبناني الكبير بشارة الخوري الملقّب بالأخطل الصغير، ونشر ذلك العام " إنجيل الحب"، عبارة عن قصائد كتبها حتّى سنّ الثامنة عشرة، ولم يُعد طباعتها لأنه اعتبرها مجموعة مراهقة شعريّة. (أديب هند، شعريّة سعيد عقل، طبعة أول، بيروت، دار الفارابي، ٢٠١٠، ص ١٣).

^٢ أصدرت " بنت التفاح" عام ١٩٣٥ عن المطبعة الكاثوليكية في منشورات مجلة المشرق في طبعة فاخرة مستقلة من الحجم الوسط، وبلغ عدد صفحاتها السّتين، ولم يُعد نشرها بعد ذلك. وهذه المسرحيّة الشعريّة تتألّف من فصلين، ومقدّمة قصيرة من ثماني صفحات تتضمن جزئين : الأول عرضٌ موجزٌ لمدرستين كلاسيكيتين ، الفرنسيّة والشكسبيرية ، والثّاني مجموعة ملاحظات حول المنهجية التي استخدمها الكاتب في إعداد موضوعه.

^٣ حلقة تلفزيونيّة من برنامج "السجل الذهبي"، مرجع سابق.

بداية الإبداع...

عام ١٩٣٧ أصدر "المجدلية"^١، الآتية من ثلوث العقل اليوناني، والتي تروي قصة لقاء مريم المجدلية (المرأة الخاطئة) المسيح. وأشار الدكتور جورج زكي الحاج أنّ المجدلية كانت تمثل قلق الجمال في تلك الفترة الفاصلة، لأنّها التوبة الكبرى، أو التدرّج من النزوات إلى عالم خلاق، إلى القدس^٢.

عام ١٩٣٩ دَرَسَ في معهد الحكمة الشعر، وتقاضى، لقاء تدريسه، مبلغ ستين ليرة في الشهر. وفي هذا العام أنهى سعيد كتابة مأساته الشعرية "قدموس"^٣، المؤلفة من ثلاثة فصول، والمتأثرة بالمدرسة الكلاسيكية الفرنسية، وتستمدّ موضوعها من الميثولوجيا الإغريقية – الفينيقية .

وذكر الدكتور جورج زكي الحاج في كتابه: "إننا نجد في قدموس ثلوث المسيحية: القدرة، والمعرفة، والمحبة، كما يعود بنا إلى ثلاثية اليونان: الحقّ، والخير، والجمال"^٤.

نشر في جريدة "المكشوف"، للشيخ فؤاد حبّيش، مجموعة قصائد (صدرت لاحقاً في كتاب عام ١٩٥٠ باسم "رندلي") لقاء مبلغ أربع ليرات ونصف لكلّ عدد، وفي هذا السياق يقول عقل: "قبل أن أصدر تلك القصائد في كتاب، أُجريت عليها تغييرات كثيرة. الشعر عندي افتعال. حتّى الغزل كتبته من ضمن خطّي الواعية في سياق الشعر"^٥.

علّم في "المدرسة الفرنسية العليا للآداب" في بيروت عام ١٩٤٣، فأنشأ مادة جديدة عنوانها "كيف تُبدع" درّسها في العربية والفرنسية معاً، وكان يلقي درسين: واحداً للطلّاب، وآخر للجمهور. وقد تقاضى عن تدريسه من المعهد الفرنسيّ ١٠٥٠ ليرة، وهي في تلك الآونة مبلغ خياليّ. كما طلبت منه إدارة الجامعة اللبنانية أن يعطي درساً أسبوعياً لطلّابها، فأعطى مادة "ما هو الأدب". وأعطى صفّاً بطلب من ألكسي بطرس في "الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة، ألبا"، وألقى دروساً في جامعة الروح القدس التيلسعيد عقل الفضل في إطلاق اسمها^٦.

عام ١٩٤٨ طالب عقل مع "نوار زحلة" بجمهورية مستقلة، فوضع نفسه في مواجهة مع الحكومة اللبنانية، وبشكل خاصّ مع رئيس الجمهورية آنذاك بشارة الخوري الذي ضغط على مدير "مدرسة الآداب العليا"، وعلى مدير مجلة "الشراع" بهدف إيقاف التعاون مع الشاعر. يومها أرسل عقل قصائده إلى مدير الإذاعة السورية أحمد عسيّ لقراءتها في برنامج خاصّ، ليعاود نشاطاته المهنية والأدبية مع

^١ أعيد نشر هذا الديوان عام ١٩٦٠، ١٩٧١، ١٩٩١ .

^٢ الحاج، د. جورج زكي، الفرح في شعر سعيد عقل، الطبعة الأولى، الحمراء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨١، ص ٧٥.

^٣ كتب قصّاً كبيراً منها في ظهور الشوير، والقسم الثاني في بكفتيا، وبعد انتشارها في الأوساط الأدبية والجامعية والمدرسية قرّر إصدارها في طبعة فخمة عام ١٩٤٤. وتجدد الإشارة إلى أنّه أعيد نشرها عام ١٩٦١، ١٩٧١، و١٩٩١.

^٤ الحاج، د. جورج زكي، الفرح في شعر سعيد عقل، مرجع سابق، ص ١٠٧.

^٥ ذكر عباس بيضون في ملحق صحيفة النهار، أنّ سعيد عقل كان يتقاضى ٤١/٢ ليرة عن كلّ قصيدة من رندلي (بيضون ، عباس، ملحق صحيفة النهار، جمهورية سعيد عقل، "سعيد عقل : سألح الفاتيكان وأميركا وأرد فرنسا إلى الملكية" ، العدد ٩، ٩ أيار ١٩٩٢، ص ١٢).

^٦ زغيب، هنري، سعيد عقل إن حكى، مرجع سابق، ص ٥٧.

^٧ أعطى سعيد عقل درساً في "المدرسة الفرنسية العليا للآداب" عن توما الأكويني ومفهوم الروح القدس. وقال يومها إنّه يجب إنشاء جامعة على اسم الروح القدس، وكان من بين المستمعين الأباتي بطرس قزي، وحين قرّرت الرهبانية اللبنانية المارونية إنشاء جامعة أطلقت عليها اسم "جامعة الروح القدس" بتأثير من دروس سعيد عقل .

سقوط بشاة الخوري عام ١٩٥٢^١، كما حرّر في جريدة "البرق" لصاحبها الأخطل الصغير (بشارة الخوري) وفي "المعرض" لميشال زكور، و"لسان الحال" لخليل سركيس، و"الجريدة" لجورج نقاش. وكتب في الصياد، لمدة إثني عشر عامًا صفحة أسبوعية تضمّ مقطوعات قصيرة حول قضايا كانت مطروحة آنذاك، في السياسة والثقافة والاقتصاد.

عام ١٩٥٠ استأجر مدرسة مار أفرام للسريان الكاثوليك في زحلة (مؤسسها الخوري إسطفان بخّاش)، وحوّلها من ابتدائية إلى ثانوية، وأطلق عليها إسم "كلية مار أفرام" حيث علّم فيها الفلسفة والأدب، وألقى في مختلف صفوفها دروسًا في الأخلاق. ازدهرت هذه المدرسة فيعهدته، وبإدارة جورج غزّة. ولما تخلّى عنها، انهارت كليًا، وانتقلت إلى القطاع العام سنة ١٩٦٦^٢.

وعن كيفية تعرّفه على الأخوين الرحباني، يروي محمّد أبي سمرا، أنّ أمران اثنان استوقفا سعيد عقل، وحملاه على البحث عن الأخوين للتعرف إليهما: الجذابة لصوت مغنّية من راديو سيّارة كانت تقلّه، وكلمات الأغنية التي كانت بعنوان "عتاب". هكذا بدأت رحلة البحث عن الأخوين للتعرف إليهما، ولقاء فيروز (نهاد حداد) التي اطلق عليها لاحقًا اسم "سفيرة لبنان إلى النجوم"، والذي دفع عاصي للزواج منها^٣.

وكتب لفيزوز العديد من القصائد بالفصحى والعامية التي غنّتها في لبنان والعالم العربي، ومن هذه القصائد "غنّيت مكة" التي نشرها في ديوان "كما الأعمدة"، ومن أبياتها: "غنّيت مكة أهلها الصيدا، والعيد يملأ أضلعي عيداً/ فرحوا فلألاً تحت كل سماً بيتاً على بيت الهدى زيدا/ وعلى اسم رب العالمين علا بنيانهم كالشهب ممدودا/ يا قارئ القرآن صلّ لهم، أهلي، هناك، وطيبّ البيدا...". وفي أيلول ١٩٦٦، غنّت فيروز في دمشق "أجراس العودة": سيفٌ فليُشهرّ في الدنيا، ولتصدع أبوابٌ تصدعُ/ الآن الآن وليس غداً... أجراس العودة فلتقرعُ/ أنا لا أنساك فلسطين، ويشدّ يشدّ بي البعدُ/ أنا في أفيائك نسرين، أنا زهر الشوك أنا الوردُ". وعلى رغم من أنّه كرس اهتمامه الأكبر إلى لبنان الفينيقي، وكان من أشد دعاء "القومية اللبنانية" فقد كتب قصيدة رائعة عن سوريا غنّتها فيروز "سائليني": "سائليني حين عطرتُ السلام/ كيف غار الوردُ واعتلّ الخزامُ/ وأنا لو رحمت أسترضي الشذا... لانتفى لبنان عطرا يا شامّ".

وكان مكتب عاصي ومنصور، في حرش الكفوري (بدارو)، بمحاذاة بيت سعيد عقل. وكانا يقرآن له قصائدهما ومسرحياتهما. وعن فترة الأخوين الرحباني، يقول عقل: "فترة الأخوين رحباني من أجمل فترات حياتي. بدأت علاقتي بهما إعجابًا أخذ يكبر ولم يتوقّف. كان عاصي ومنصور يتنقلان من مجد إلى مجد. لم ينجب تفكيري بهما يوماً واحداً، لا في شعرهما ولا في موسيقاهما". كما راح الأخوان يلحّنان قصائد من "يارا" و"كما الأعمدة".

ويذكر منصور: "أخذنا عن سعيد عقل، بين ما أخذنا، أن نغني الشعب والأرض والتاريخ ولا نغني الحكّام، أيّاً كان الحكّام... وتعلّمنا كيف نستعمل تركيبات سعيد عقل الشعرية"^٤.

^١ أديب، هند، شعرية سعيد عقل، مرجع سابق، ص ١٧-١٨.

^٢ بيضون، عباس، ملحق صحيفة النهار، مرجع سابق، ص ١٢.

^٣ أبي سمرا، محمّد، "جمهورية سعيد عقل، فيروز والأخوان الرحباني"، ملحق صحيفة النهار، العدد ٩، ٩ أيار ١٩٩٢، ص ١٤.

^٤ زغيب، هنري، سعيد عقل إن حكى، مرجع سابق، ص ١٢٣.

المرحلة الرومانسية...

وفي هذه المرحلة أصدر "زندلي"^١، أول دواوين المرحلة الغنائية-الرومانسية، ويقول الدكتور جورج زكي الحاج "إن كتاب "زندلي" هو ثورة ناجحة على صعيد الشعر، وهو وليد المشاعر الإنسانيّة، والفلسفة اليونانيّة، والفلسفة الهندوسية، واللاهوت المسيحي... هو يبدأ بعالم الإنسان الأرضي، لينتهي بعالم مطلق خلاق تكويني بعد أن يمرّ بالعالم الكلاسيكيّ المعرّي، والعالم المغلق، والعالم النوراني"^٢. كما أصدر "يوم النخبة" عام ١٩٥٤، ويضمّ مجموعة من المقالات التي تناقش مسائل مختلفة.

في مطلع عام ١٩٥٥ عقد حُطْبَتَه على الأنسة سعاد أبي صالح التي دامت عامين ولم تُكَلَل بالزواج، ليصدر عام ١٩٦٠ ديوان "أجمل منك؟ لا": الذي ضمّ ٣١ قصيدة، أُعيدت طباعته عام ١٩٧١ و١٩٩١. وحين يتحدث عن المرأة يصفها عقل بطريقته الخاصة: "المرأة يجب أن تكون مقدّسة وشريفة. فعندما تكون شريفة ومقدّسة فهي ملكة تُرْكِعُ كل عظيم، وأكبر ملك في العالم. لا يجب أن تكون حقيرة وصغيرة، أو أن تتنفع من شيء صغير. يجب أن تكون أولاً مقدّسة، أي ترضي الله، وثانيًا أن تحبّ الكبير، وأن تلتفت إلى كل شيء في هذه الدنيا من فوق"^٣.

عام ١٩٦١ أصدر عقل قصائد حُبّ في "يارا" باللغة اللبنانيّة والحرف اللبنانيّما تسبّبسجال عنيفبينه وبين الشعراء والكتّاب. فعقل اختار الكتابة بالعاميّة اللبنانيّة، واستنبط أجديةً خاصّةً مستوحاة من اللاتينية التي يعتبرها إحدى تنوعات اللّغة الفينيقيّة. يومها طلب جمال عبد الناصر، (داعمحلّة "الصيد" مادّيًا) من سعيد فريحة أن يوقف سعيد عقل عن الكتابة فيها، فاستفّر هذا الأمر صاحب "لسان الحال"، جبران حايك، فوضع جريدته بتصرّف عقل لقاء مبلغ ألفي ليرة شهريًا على أن يحزّر فيها عمودًا افتتاحيًا نصف أسبوعيّ بعنوان "كلمات".

كما كتب لاحقًا افتتاحيات في جريدة "الجريدة" بعنوان "اليوم اليوم"، وفي جريدة "نداء الوطن". وقال عقل عن "يارا": "بدأت مع يارا مرحلة الحرف واللغة، مثلما كنت أحلم لها أن تكون. أية لغة يمكن كتابتها بأيّ حرف. الحرف للغة كالثوب للجسم. اللغة يمكنها أن تلبس أيّ ثوب... أبسط الثورتين هي ثورة الحرف لأنّها موجّهة إلى العالم كلّه لا إلى لبنان وحده"^٤.

عام ١٩٦٢، ولمناسبة عيد ميلاده الخمسين، أنشأ "جائزة سعيد عقل"، وقيمتها ألف ليرة لبنانيّة، يقدّمها شهريًا إلى الفنّانين والعلماء العاملين على تطوير الفنون والعلوم في لبنان. وأوّل من نالها المهندس زُهدي عبس على تصميمه مئذنةً زادت من جمال لبنان.

نثره إن حكى...

كما نشر عقل، بين عامي ١٩٥٠ و١٩٦٣، أعمالاً نثرية هي: "كأس الحُمُر" (يضم الكتاب مقالات في التّقَد الأدبي)، و"لبنان إن حكى" (مجموعة من سبع وثلاثين حكاية نثرية مستلهمة من الأساطير الفينيقيّة). ويقول عقل عن كتابه "لبنان إن حكى": "شعرت أنّ التاريخ كما هو مكتوب عندنا، كتبه أشخاص غير شجاعين ولا مطّلعين على أسطر قليلة، كتبها عنّا عظماء التاريخ في العالم. وهكذا

^١ صدر هذا الديوان عام ١٩٥٠، وأعيد طباعته مع بعض التنقيحات والإضافات عام ١٩٦٠، ١٩٥٦، ١٩٧١، و١٩٩١. وهو يتضمّن ثلاثًا وأربعين قصيدة حبّ.

^٢ الحاج، د. جورج زكي، الفرّح في شعر سعيد عقل، مرجع سابق، ص ١٣٦.

^٣ حلقة تلفزيونية من برنامج "نقطة فاصلة" مع الشاعر الراحل سعيد عقل، تلفزيون الأوتيفي، الجزء الأول، ٢٨ تشرين الثاني ٢٠١٤.

^٤ زغيب، هنري، سعيد عقل إن حكى، مرجع سابق، ص ٩٤.

بنيت كتابي على ثلاثة عناصر: حقائق تاريخية ثابتة، أحلام تمنيّت بها أن تكون تلك القصص حدثت في لبنان، وأحداث في لبنان واقعية نسجت لها إطار قصص خيالية. هذا الكتاب خلق مدرسة في معرفة لبنان، وهو أكثر كني إعادة طبع، ويشكل ثلث مدخولي السنوي، ما يدلّ على أنّ الشعب اللبناني تجاوب مع هذا الكتاب، وخصوصاً مع أشخاصه المتنوعين في القيم، وبات يجرؤ على التفكير بلبنان وطنًا غير عادي^١.

عام ١٩٦٥ ترشّح إلى الإنتخابات النيابية الفرعية من دون أن يحالفه الحظّ، وقال عقل: "ترشّحت على النيابة أخذت ٩٠٠٠ صوت. أخذ أخ المرأوي ١١٠٠٠ صوت. عائلتنا قليلة. عشرون أو ثلاثون نفرًا، لكن الزحالنة يعبدوني. قال لي رمون إده كنت أتصوّر أنّك لن تنال صوتًا واحدًا. خسرت في البلدية على ٣٠ صوت. ربخنا ثلاثة مقاعد. لكنّ الفرق بين قائمتنا وقائمة جوزف سكاف لم يزد على ٣٠ صوتًا. نجحوا لكن الناس صقّوا لنا. أمّا هم فأغلقوا أبوابهم وذهبوا إلى بيروت كأهمّ خسروا"^٢.

كانت له صلة مباشرة بالحزب الشيوعيّ (من أصدقائه: خالد بكداش، فرج الله الحلو، نقولا الشاوي) لكنّه لم ينتسب عمليًا، إلى الحزب بل كان يُرسل لهم ١٠٠ ليرة تبرّع إلى دمشق، فيفرحون بها ويقولون: هذا فلس الأرملة. وعن حكاية نشيد الحزب السوري القوميّ الإجتماعي، يوضح عقل قائلاً: "لم تعرّف في يوم على أنطون سعادته... وإنّ قوميًا سوريًا من زحلة اسمه وديع نصرالله كتب نشيدًا للحزب، نزل من زحلة وقصدي، ودفع إليّ النشيد وطلب منّي أن أصلحه. أنا من هذه الناحية أحبّ أن احترق في اشعار الآخرين. أخذت قلمي، وأصلحت النشيد، وأعدته إليه. بعد ذلك اعتمدوا النشيد ونسبوه لي"^٣.

أمّا الكاتب جان داية فيشير إلى أنّ سعيد عقل هو ناظم مشروع نشيد الحزب السوري القوميّ الإجتماعي ويقول فيه: صخب البحر أم الموج السخيّ/ أم بلاد تملأ الدنيا دويّ/ سوريا يقظة ملء المدى/ بسمة ملء الربيع/ سوريا فوق الجميع"^٤.

وعن علاقته بكمال جنبلاط قال عقل: "كمال جنبلاط صاحبي وهو فهميم. كتبت من النصّ الأوّل لدستور حزبه الحركة اللبنانية قرابة ٦٠% والبقية كتبها جوزف نجّار. لم يكن في النصّ كلّ لفظه عرب أو عروبة. انضمّ إلينا واحد هو الدكتور رثيف أبي اللمع، والد فاروق أبي اللمع، وقال لجنبلاط: لنمشي بالعروبة. أعجب ذلك جنبلاط. من أدخل جنبلاط إلى العروبة مارويّ. قبلت العروبة جنبلاط، لكنّها تقتل من تقويّه. وهي في ذلك منصفة"^٥.

وأطلق في أواخر الستينيات دعوته الشهيرة إلى استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني، واستخدام اللغة العامية مكان اللغة الفصحى. وهذه الدعوة أثارت استياء كبيرًا في أوساط المثقفين اللبنانيين والعرب.

عام ١٩٧١ أصدر "أجراس الياسمين"، الذي يتألّف من ٤٩ قصيدة، ويغلب عليها إحساس بالطبيعة.

^١ زغيب، هنري، سعيد عقل إن حكى، مرجع سابق، ص ١١٢.

^٢ بيضون، عباس، ملحق صحيفة النهار، مرجع سابق، ص ١٠.

^٣ بيضون، عباس، ملحق صحيفة النهار، مرجع سابق، ص ١٠.

^٤ ذكر جان داية أن سعيد عقل لم يكن يجب الحديث عن علاقته بالحزب القوميّ السوريّ الإجتماعي الذي انتمى إليه لفترة قصيرة في ثلاثينات القرن الماضي، شأنه شأن الكثيرين من مثقفي ذلك العصر، وهو ناظم نشيد الحزب، ملحق صحيفة النهار، ٦ كانون الأوّل ٢٠١٤.

^٥ بيضون، عباس، ملحق صحيفة النهار، مرجع سابق، ص ١٠.

سعيد عقل والمرأة...

عام ١٩٧٢ أصدر "كتاب الورد"، وهو يضمّ هذا الديوان قصائد نثرية، يتألف من ثلاثة أجزاء: "غصّة الناي" (العاشق)، و"هموم الورد" (العاشقة)، و"عهد الورد الملتقّة على الناي" (حوار بين النأي والعاشق والورد العاشقة).

عام ١٩٧٣ أصدر عقل "دُلزى"، يضمّ ستين قصيدة، وفي هذا السياق قال سعيد عقل: "الحبّ أجمل عاطفة على الإطلاق. شعبٌ يكرّم المرأة، يصدر عنه غزل راقٍ. وإذا لم يكن يكرّمها، يصدر عنه غزل مزيف ينحو إلى الخلاعة... هكذا قصائدي في الغزل: لها رسالة، وليست مجرد أفكار أو كلمات مستوحاة من امرأة. مع أنّ المرأة هي الغزل كلّها. يكفي أن تكون هي بطلّة القصيدة... الغزل أهمّ مدرسة لتربية الشعب... انطلاقاً من وعيي هذا الواقع، لم أبدأ بكتابة قصائد الغزل إلاّ بعدما أصبحت مثقفاً^١.

كما أصدر، في العام نفسه، ديوان "قصائد من دفترها"، وهو يضمّ خمسين قصيدة توجهها العاشقة إلى الشاعر - الحبيب. وذكرت هند أديب: "إنّ نرجسية عقل العالية تدفعه إلى الكتابة مكان حبيبته، وتوجيه القصائد إلى نفسه. فهو دون شكّ المتلقّي المعلن لهذه القصائد بعد أن كان هو ناطقها الضمني"^٢.

جائزة سعيد عقل...

عام ١٩٧٤ أصدر "كما الأعمدة"، وهو ديوان من أربع وعشرين قصيدة من شعر المناسبات (موت شاعر أو فنّان، تكريم كاتب أجنبي، أو ذكرى كبار رجالات التاريخ، أو مناسبة دينية معينة).

وفي ٤ تشرين الأوّل عام ١٩٧٥، عند تسليمه الجائزة رقم ١٦٠ إلى جورج قرقم على معجمه الفرنسي، أوقف عقل الجائزة الشهرية، مرغماً، بعد عشر سنوات على إنشائها. يقول في هذا الصدد: "أوجعني أن أوقف جائزتي الشهرية... حفّ مدخولي من كتيبي ومقالاتي، فصرفتُ سائقي، وبعثتُ سيارتي، آملاً بأن أستطيع الإبقاء على الجائزة. بعدها بسنتين لم أعد أحتمل. أوقفتها، وفي قلبي غصّة كبيرة"^٣.

نال جائزة سعيد عقل الشهرية، قبل أن يوقفها، ١٦٠ شخصيّة في حقول الشعر، والنثر، والتصوير، والرّسم، والنحت، والرّقص، والغناء، والهندسة، واللّغة، والمعاجم.

أصدر عقل عام ١٩٧٧ يومية ناطقة بـ "اللغة اللبنانيّة"، "لبنان"، للترويج لأفكاره الخاصّة، وتصوّراته السياسيّة. وعام ١٩٧٨ أصدر "خماسيات"، وأعيد نشره عام ١٩٩١ عن دار نوبليس. وعام ١٩٨١ أصدر "الذهب قصائد".

^١ زغيب، هنري، سعيد عقل إن حكى، مرجع سابق، ص ٧٢.

^٢ زغيب، هنري، سعيد عقل إن حكى، مرجع سابق، ص ٧٥.

^٣ أديب، هند، شعريّة سعيد عقل، مرجع سابق، ص ١١٨.

^٤ زغيب، هنري، سعيد عقل إن حكى، مرجع سابق، ص ١٤٠.

سعيد عقل والدولة اللبنانية...

زار عقل القصر الجمهوري ثلاثاً للقاء رئيس الجمهورية : الرئيس سليمان فرنجية (كونه سيمثل لبنان بذكرى طه حسين في مصر)، الرئيس الياس سركيس (للتهنئة بعد انتخابه)، والمرة الثالثة كانت للقاء الرئيس سركيس بسبب الخطر الذي أحاط بمدينة زحلة، وهدفه من الزيارة أن يشرح للرئيس عظمة زحلة، حيث ردّد مرّات عدة أمامه : " زحلة عنفوان لبنان". وللأمانة التاريخية قال رفيق روحانا : "... بحبّ ضيف شهادي رابعاً علاقة سعيد عقل برؤسا الجمهوري. اتّصلت فيّ " ماري روز أميدي" وتمتّ عليّ كون بيت سعيد عقل تانتقبل سوى الرئيس شارل حلو اللي جابي يزور سعيد عقل بعد ٣٠ سنة من انتهاء رئاستو. وهيك صار. حضر الرئيس شارل حلو متل كأّو الخاطي اللي عميطب الغفران بعد التوي. وكان اللقاء حميم ، وكان سعيد عقل كبير كبير. ما لفظ كلمي بتدلّ إنو عميمنح الغفران. بس الرئيس شارل حلو قال:" أنا حكمت لبنان ستّ سنين وإنك ستّين سني حاكمو"^١.

مع بداية الحرب اللبنانية، بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٦، انضمّ عقل إلى " جبهة الحرّيّة والإنسان"، إلى جانب أبرز الأحزاب والشخصيات السياسيّة المنتمية إلى اليمين المسيحيّ، وتركها بسبب خلافات مع السّياسيين التقليديّين .

وعن العماد ميشال عون يقول : " أعرفه منذ كان ضابطاً صغيراً، التقينا في حصار تلّ الزعتر (تموز عام ١٩٧٦). تواتت الكتاب عن الهجوم، فقال لي مسؤول التعبئة فيها: سأشقّ لك الكتاب. نقلت هذا إلى ميشال عون. اقتحمنا معاً تلّ الزعتر. حاول كميل شمعون أن يساوم علينا، لكن تلّ الزعتر كان سقط، ولم يبقّ مجال للمساومة. أنا الذي أطلقتّه (عن ميشال عون). همست له: قلّ يا شعبي العظيم، فقال، وتحركت الجماهير، قال مرّتين أنا تلميذ سعيد عقل"^٢.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ العماد عون زار سعيد عقل في منزله بقرنة الحمراء، يوم عيد القديس ميخائيل عام ٢٠١١، للاحتفال بالذبيحة الإلهية. وكان عقل يردد طوال الوقت : " يا أهلاً بالجنرال"^٣.

وعن صلته بتنظيم حرّاس الأرز يقول عقل: " لا صلة مباشرة لي بحرّاس الأرز، إتيان صقر من تلاميذي. أنا ملهم الحزب، وأفكاري هي التي خلقتة"^٤. كما أسهم في إصدار جريدة غير مرخصّة تدعى "لبنان" تنطق باسم هذا التنظيم. ولكنه لم يلبث أن افترق عن التنظيم، واستقل بالجريدة وحده وراح يُصدرها باللّغة المحليّة ثم بالحرف اللاتينيّ بعد ذلك. وكانت له مواقف شديدة العداء للوجود الفلسطيني على الأرض اللبنانية، ورفع شعار "لن يبقى فلسطيني على أرض لبنان".

وفي مطلع التسعينيات، في برنامج " حوار العمر" قال سعيد عقل: "وإذا حدا بيشيل إسرائيل من هون، هو أنا، مش العرب! بعد بيصطلحوا العرب هتي وإسرائيل، بس نحن عدوتنا صارت إسرائيل"^٥.

^١ روحانا، رفيق، " سعيد عقل بيدر مجد وجمال"، منشورات جامعة سيّدة اللوزة، ص ٤٢ .

^٢ بيضون، عباس، "جمهورية سعيد عقل"، ملحق صحيفة النهار، مرجع سابق، ص ١٠ .

^٣ روحانا، رفيق، " سعيد عقل بيدر مجد وجمال، مرجع سابق، ص ١٤٢ .

^٤ بيضون، عباس، "جمهورية سعيد عقل"، مرجع سابق، ص ١٠ .

^٥ حلقة تلفزيونية من برنامج " حوار العمر" ، تقلم جيزيل خوري، إخراج سيمون أحمري، ضيف الحلقة الشاعر سعيد عقل، وشارك فيها يحي جابر وطانيوس دعيبس.

فالسباسة في مفهوم سعيد عقل "هي قمة الهرم، والقمة هي نتاج الأفكار الشجاعة. هي الحلم، هي نتاج الطموح باسم الأمة، مُعاصرة المستقبل"^١. ويذكر عقل أنّه حقق لبنان ٣ أمور: "خلصت اللبنانيين من عقد الصفر ومن ١٠٤٥٢ كلم، عملت ثورة الحرف واللغة لأنون بزبطوا العقل اللبناني، انتجت إنتاج فكري إلو قيمة وعم بترأس نهضة فكرية بلبنان، وهول ٣ أمور بشدد عليون لأنون رح يغيرو مستقبل لبنان"^٢.

حياته الخاصة، يومياته وتكريمه...

عام ١٩٨١ عقد حُطْبَتَه على الشاعرة آمال جنبلاط التي تكللت، بعد خمسة أشهر، بزواج في ٢/٤/١٩٨٢، لم يدم إلا خمسين يوماً إذغابت عصر الأحد ٢٣/٥/١٩٨٢، وكانت آمال جنبلاط تقول له باستمرار: "أنا عم بتجوّز لبنان"^٣.

عام ١٩٩١ صدرت مؤلفاته الشعرية الكاملة عن دار نوبلس، بيروت. وحول لغة المجموعة العربية قال عقل: "أنا كتبت بالعربية ببراءة شعراء الجاهلية. وبتحدّي أنّ يكون حدا طور اللغة على طريقي. بس بتختلف لغتي الشعرية، تعايري، علمي الخاص. يومها كتبت باقتناع. بس تجربتي مع اللغة تطوّرت، وفهمت كيف اللغة هي الوطن، وصرت أرفض أكتب بلغة ميتة، لغة غير محكية". وأضاف: "أنا ما بشوف حقيقة بالدني إلا من خلال الشعر. هو الجمال، هو الطريق، هو أكبر مجد من أمجاد الإنسان على الأرض"^٤.

ويقول سعيد عقل أنّ يومه يبدأ حين الناس تنام: "أهض في الرابعة فجراً، يكون القلم حدّي والأوراق. لا أبدأ أبداً بل أكمل. فدائماً إلى جانب سريري كتابات أكون باشرتها فيها. حتّى القصيدة الجديدة ليست جديدة لأنها جزء من كل. أستريح قليلاً فأستحم، ثم أعود إلى الكتابة. في الثامنة تأتي السكرتيرة. أملي عليها ما أكون هيئاًته فجراً وصباحاً. أمضي قبل الظهر في تنقيح النصوص، وإعادة طبعها، وأحياناً في استقبال أصدقاء وزوّار. بعد القيلولة، وهي قصيرة عادة، أقرأ كتباً جديدة، ومجلات أجنبية، وصحفاً، كي أتابع الأحداث في العالم. ينتهي النهار إجمالاً بمحاضرة أو أمسية ألقياها أو أحضرها، أو بزيارة أو بدعوة عشاء، وأسعى ألا تطول سهرتي حتّى أهض في اليوم التالي إلى إيقاعي الكتابي اليومي. أكتب كل يوم. الكتابة تُسعدني، تخلق بي فرحاً يحافظ على نضارة خلاياي، واستمرار تجددّها. قبل فترة طويلة قرأت في مقال طيّ أنّ الكتابة الإبداعية تجعل العقل في حالة إيجابية، أي في حالة فرح، تؤثر على الدماغ، فيُفرز مادة تتسرّب من النخاع الشوكي إلى كل الجسم، وتخلق له حصانة. وهذا مبدئي في الأساس: حين أخلق قطعة أدبية جميلة، أفرح لها أنا قبل قارئ..."^٥.

عام ١٩٩٩ أنشأ جائزة بقيمة مليون ليرة تمنح أسبوعياً لمن يكتب "كلمة ملكة" أي لمن يكتب كلمة أو جملة أو عبارة تعجبه. وبحسب إحصاءات هند أديب، فقد كتب عقل ٣٥٢١ بيتاً من أصل ٥٥٦٤ بيتاً، وعلى صعيد القصائد فقد كتب ٢٣٣ قصيدة غنائية من أصل ٣٥٦ قصيدة.

^١ مجلّة الصياد، "سعيد عقل من قمة الهرم"، الحازمية، العدد ١١٢٣، ٢٤ آذار عام ١٩٦٦.

^٢ حلقة تلفزيونية من برنامج "السجل الذهبي"، مرجع سابق.

^٣ روحانا، رفيق، "سعيد عقل بيدر مجد وجمال"، منشورات جامعة سيّدة اللوزة، ص ١٢٥.

^٤ مرشليان، كوليت، "الشاعر سعيد عقل في مجموعة شعرية كاملة"، صحيفة الديار، بيروت، ٢٤ أيلول ١٩٩١.

^٥ زغيب، هنري، سعيد عقل إن حكى، مرجع نفسه، ص ١٤.

في ٢ أيار عام ٢٠٠٤، نجح من حادث سيارة في محلة رياض الصلح، فأصيب برضوض بسيطة.

كرّمته "الجامعة الأميركية للعلوم والتكنولوجيا" فأقامت له تمثلاً في حديقة المبدعين في ١١ تشرين الأول عام ٢٠١٠. وقّله الرئيس اللبناني ميشال سليمان في ٥ تشرين الثاني عام ٢٠١٠، وسام الأرز الوطني من رتبة ضابط أكبر. وتحت عنوان "عبري من بلادي"، في ١١ أيار ٢٠١٢، أقامت جامعة AUL عشاءً تكريمياً له بمناسبة بلوغها المئة عام من سني حياته.

وفي ٣ تموز ٢٠١٢، كرّمته بلدة قرطبا جبيل بمناسبة يوبيله المئة، في قداس احتفالي في دير مار سركيس وباخوس. كما كرّمته الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية (الفرع الثاني - الفنار) في ١٩ كانون الأول عام ٢٠١٢. وبدورها كرّمته وزارة الاتصالات في ٢٤ كانون الأول عام ٢٠١٤ بإصدار طابع بريدي باسمه بمناسبة بلوغه المائة عام.

وفي ٢٨ تشرين الثاني عام ٢٠١٤، رحل كبير شعراء لبنان، فسحّي جثمانه في جامعة سيّدة اللوزية لإلقاء النظرة الأخيرة عليه ضمّن عشّ مصنوع من صخر لبنان وأرزه، على وقع تقارير مصوّرة محاكي شِعْره، فضلاً عن تراتيل وأغانٍ ليُحمَل إلى مثواه الأخير في زحلة.

وقد وصفه البطريك المارونيّ مار بشارة بطرس الراعي بأنّه عملاق الأدب والشعر، وشاعر لبنان الحلم والعُنفوان والجمال.

وتجدر الإشارة إلى أنّ جامعة سيّدة اللوزية، التي علّم عقل فيها لأعوام عدّة، أطلقت "جائزة سعيد عقل المحرّكة للإبداع"، وتمنح في ٢٨ تشرين الثاني من كلّ عام، لقاء أعمالٍ إبداعية في الآداب، والعلوم، والفنون، والفكر، والإبداع العالميّ اللبناني.

^١ صدرت وقائع هذا التكريم في كتيب عالٍ كما الأرز، الفنار، الجامعة اللبنانية، في يوم تكريمه، ١٩ كانون الأول ٢٠١٢.